ISLĀMIYYĀT 40(1) 2018: 71 - 80
(https://doi.org/10.17576/islamiyyat-2018-4001-08)

المنهج النبوي في التعامل مع مقتضى الحال: دراسة تحليلية للظرف الديني، الأمني والسِّياسي في ضوء السِّيرة النبوية

The Prophetic Method in Dealing with the Situations: An Analytical Study on Religious, Security and Political Issues from *Sīra* Literature

Abdoul Karim Toure
Mohd Anuar Mamat

ABSTRAK

Zaman kini perubahan amat cepat berlaku dan turut memberi kesan kepada umat Islam secara amnya dan individu secara khasnya dalam berinteraksi dengan situasi tersebut. Justeru, artikel ini mengemukakan satu kajian terhadap bagaimana Nabi SAW berhadapan dengan pelbagai situasi pada zaman kehidupan Baginda sebagai panduan kepada umat Islam dan individu muslim. Secara umumnya, Baginda berhadapan dengan dua situasi utama dalam menyampaikan dakwah Islam, iaitu peringkat permulaan dan kelemahan umat Islam pada zaman Mekah dan peringkat perkembangan dan kekuatan umat Islam pada zaman Madinah. Kedua-dua peringkat ini sebenarnya memperlihatkan pendekatan yang berbeza semasa Nabi SAW membuat beberapa keputusan, khasnya berkaitan isu agama, keselamatan dan politik umat Islam. Beberapa peristiwa terpilih yang berlaku pada zaman Mekah dan Madinah dianalisis berdasarkan kajian terhadap al-Quran, teks utama hadith Baginda dan juga sirah Nabi SAW. Artikel ini mendapati bahawa Nabi SAW merupakan seorang Nabi yang amat bijaksana semasa berhadapan dengan situasi yang pelbagai dan keputusan yang diambil oleh Baginda amat bertepatan dengan pertimbangan semasa demi kemaslahatan umat dan negara Islam. Dengan penulisan artikel ini diharapkan dapat mengetengahkan cara dan pendekatan Nabi SAW berhadapan dengan isu semasa yang timbul agar dapat diteladani oleh individu Muslim dan para pemimpin umat Islam di pelbagai peringkat kepimpinan.

Kata Kunci: Pendekatan interaksi berdasarkan situasi; teknik membuat keputusan; zaman Mekah; zaman Madinah; Sirah Nabi SAW

ABSTRACT

The world is changing too fast that affect the people as well as the Muslim societies in dealing with those changes. This study explored on the ways the Prophet Muhammad PBUH dealt with various situations that can be employed as guidance to the Muslim. Historically, his da'wah can be divided into two phases. First came the stage of weakness in Mecca. Second was the stage of migration to Medina, where Muslim strength were built up and expanded. The Prophet Muhammad PBUH had different approaches in dealing with these phases concerning the issues on religious, political and security. This article is based on the textual analysis of selected issues in al-Quran, major works of Hadith and Sīra literature. Overall, the findings show that Prophet Muhammad PBUH is a wise person who is able to choose and make decision based on present consideration for the benefit of the people and the Islamic country. This article is expected to highlight the Prophet's ways and approaches in dealing with the situations in order to provide a guidance to the Muslim especially the leaders in the various levels of leadership.

Keywords: Method of dealing with situation; decision making; Mecca phase; Medina phase; Sīra literature.

تمهيد

مرَّت الدعوة الإسلامية في عصر التنزيل بمرحلتين اثنتين، مرحلة ضعف واضطهاد المسلمين بمكة ومرحلة القوة والتمكين بالدولة المدينة النَّبوية المنوَّرة. وفي كلتا المرحلتين مرَّت الدعوة بمواقف دينية سياسية أمنية صعبة وحرجة كانت تستدعي اتخاذ قرارات حكيمة من القيادة العليا رسول الله صلى الله عليه وسلم بما يتناسب مع الوضع ال مرحلي للدعوة. فمشكلة الدراسة هي انَّها تحاول أن تستنطق هذه الأحداث في المرحلتين ثم تحلِّلها لتصل الى المعرفة كيف تعامل النبي صلى الله عليه وسلم مع هذه المواقف الحرجة والصَّعبة لصالح الدعوة وبما يتناسب مع وضعها من الضَّعف والقوة. وتكمن أهمية الدراسة في كونها خريضة دعوية شاملة للأفراد والجماعات والمؤسسات والدول، كذلك

في مسيرتهم الدعوية على مر الدّهور في جميع المصر والعصر فيما سوف يلاقونها مِن الشواءك والعوائق وكيف يكون هذا المنهج النَّبوي نبراساً في مواجهة هذه التحدِّيات العصيبة لتحقيق هدفهم. هذا ما تحاول الدراسة دراستها وتحليلها في مبحثين اثنين هما: المبحث الأوَّل: المنهج النبوي في التعامل للظرف الديني والأمني. والمبحث الثاني: المنهج النبوي في التعامل للظرف السِّياسي.

المبحث الأوَّل: المنهج النبوي في التعامل مع مقتضى الحال للظرف الديني والأمني

أولاً: الظرف الديني

إنَّ موضوعات القرآن الكريم الذي كانت مدة نزوله ثلاثة وعشرون عاماً تنقسم إلى ثلاث موضوعات، وهي: التوحيد أو العقيدة، القصص أو الأخبار، الأحكام أو التشريعات. أمّا الموضوعان الأوَّلان – التوحيد والقصص – فكانتا مِن نصيب الفترة المكيَّة التي كانت مدَّتها ثلاثة عشر عاماً، وأمَّا الموضوع الثالث – الأحكام والتشريعات – فكان من نصيب الفترة المدنية والتي كانت مدَّتها عشرة أعوام.

فمكة حيث واجهت الرِّسالة الجديدة العِناد والكفر من المشركين، كان التركيز فيها على التوحيد، إذ لا معنى والأمر كذلك في إنزال الأحكام والتشريعات، فالقوم لم يؤمنوا بل يعارضون الرِّسالة وقضية التوحيد معارضة شديدة، فاقتضت الحكمة الإلهية الاقتصار على قضية الإيمان بالله ورسوله والبعث والنشور والحساب، وتسلية صاحب الرِّسالة صلى الله عليه وسلم والصَّحابة رضي الله عنهم فيما كانوا يعانونه من أذى واضطهاد على يد قريش في سبيل الدعوة الجديدة بقصص الأنبياء والرُّسل عليهم السَّلام من قبل فيما أصابهم مِن أذى على أيدي قومهم. قوله تعالى: وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ (هود: 120). وقوله تعالى: مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ (فصلت: 43). وقوله تعالى: فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ (الأحقاف: 35).

وهذا ما فهمته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها حين قالت: إنمَّا نزل – القرآن الكريم - أوَّل ما نزل منه سورة من المفصَّل فيها ذكر الجنَّة والنّار، حتى إذا ثاب النّاس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أوَّل شيء لا تشربوا الخمر لقالوا لا ندع الخمر أبداً، ولو نزل لا تزنوا لقالوا لا ندع الزِّنا أبداً، لقد نزل بمكة على محمَّد صلى الله عليه وسلم وإنِّي لجارية ألعب "بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ" (القمر: 46)، وما نزلت سورة البقرة والنِّساء إلا وأنا عنده (البخاري 2002: 542). أي بالمدينة المنورة بعد مُضي أكثر من ثلاثة عشر عاماً على الدعوة الإسلامية وقد فهم الناس تعاليمه واستقرت في نفوسهم.

وقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها "ولو نزل أوَّل شيء لا تشربوا الخمر لقالوا لا ندع الخمر أبداً" إنّما تقصد به المسلمون دون المشركين، فالمشركون لم يؤمنوا أصلاً حتى توجَّه إليهم الأوامر الشرعية، ولا تقصد كذلك أنّ المسلمين يقولون بأفوائهم متلفِّظين به لا ندع الخمر أبداً لا ندع الزِّنا أبداً بل تقصد أنَّهم ما كانوا ليمتثلوا به لا إنكاراً منهم أو عناداً بل لثقلها على نفوسهم وصعوبتها، فالقول بلسان حالهم لا مقالهم. فلو نـزل القرآن جملة واحدة بأمرهم مرَّة واحدة أن يخلعوا عاداتهم السَّيئة التي اعتادوها وورَّثوها خلفاً عن سلف، لشقَّ ذلك عليهم، ولَرُبَّما لم يستطيعوا إلى ذلك سبيلاً. فإنَّ لكل مقام مقالاً، ومراعاة مقتضى الحال منهج القرآن الكريم في مخاطبة الناس.

أمّا الفترة المدنية التي فيها تأسَّست الدولة الإسلامية الأولى بقيادة رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحيط به مجتمع إسلامي من الصَّحابة رضي الله عنهم بدأت آيات الأحكام والتشريعات الإسلامية تنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم الواحدة تلو الأخرى. والشّارع الحكيم لم يكتف بمعاملة قريش قبل إسلامها بما يقتضيه الظرف ووضعهم، بل عاملهم كذلك بعد إسلامها بما يلائم حداثة عهدهم بالإسلام. عَنْ الْأَسْوَدِ، قَالَ: قَالَ لِي ابْنُ الزُّبَيْرِ: كَانَتْ عَائِشَةُ تُسِرُّ إِلَيْكَ كَثِيرًا، فَمَا حَدَّثَتْكَ فِي الْكَعْبَةِ ؟ قُلْتُ: قَالَتْ لِي: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: يَا عَائِشَةُ، لَوْلاَ قَوْمُكِ حَدِيثٌ عَهْدُهُمْ،- قَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ-: بِكُفْرٍ لَنَقَضْتُ الْكَعْبَةَ، فَجَعَلْتُ لَهَا بَابَيْنِ، بَابٌ يَدْخُلُ النَّاسُ وَبَابٌ يَخْرُجُونَ، فَفَعَلَهُ ابْنُ الزُّبَيْرِ (البخاري 2002: 349).

فقريش كانت تعظِّم أمر الكعبة، فخشي صلى الله عليه وسلم أن يظنّوا لأجل قرب عهدهم بالإسلام أنَّه غيَّر بناءها لينفرد بالفخر عليهم في ذلك. فيُستفاد من فعله صلى الله عليه وسلم أنَّه على المسؤول أو القائد ترك المصلحة درأً للوقوع في المفسدة، وأن يسوس رعيته بما فيه إصلاحهم ولو كان مفضولاً ما لم يكن محرَّماً (ابن حجر 2000: 297). وقد بوَّب الإمام البخاري رحمه الله (2002) هذا الباب بقوله

"باب مَنْ ترَك بعض الاختيار مخافة أن يقْصُرَ فَهْمُ بعض الناس عنه فيقعوا في أشدّ منه."

وعقد ابن القيم الجوزية في إعلام الموقعين فصلاً صدَّره بقوله: فصل في تغيُّر الفتوى واختلافها بحسب تغيَّر الأزمنة والأمكنة والأحوال والنيات والعوائد...وقال: فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرى بمكة أكبر المنكرات ولا يستطيع تغييرها، بل لما فتح الله مكة وصارت دار إسلام عزم على تغيير البيت وردَّه على قواعد إبراهيم، ومنعه من ذلك – مع قدرته عليه – خشية وقوع ما هو أعظم منه من عدم احتمال قريش لذلك لقرب عهدهم بالإسلام وكونهم حديثي عهد بكفر (ابن القيم 1993: 6).

وتعامل مع الناس حسب مقتضى الظرف فقه جميع الأنبياء عليهم السَّلام، فهارون عليه السلام قدَّم مصلحة توحيد الكلمة على كلمة التوحيد على أهميتها، وذلك حين ذهب نبي الله وكليمه موسى عليه السلام لميقات ربَّه واتَّخذ قومه من بعده من حليِّهم عجلاً جسداً يعبدونه من دون الله، وقالوا هذا إلاهكم وإله موسى، ونصحهم نبي الله هارون عليه السلام: وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَاقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى (طه: 92-90). وكادوا يقتلوا هارون عليه السلام نفسه وتتفرَّق كلمة بني اسرائيل في غياب موسى عليه السلام: وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (الأعراف: 150).

فلمّا وازن هارون عليه السلام الموقف، فحفاظاً على نفسه وعلى وحدة جماعة بني اسرائيل، قرَّر أن يتركهم في عبادتهم للعجل على عِظمها، لأنَّه لو أصرَّ على منعهم لتفرَّقوا إلى جماعات مؤيِّدين ومناصرين لعبادة العجل وجماعة غير مؤيِّدة، فموسى عليه السلام حين رجع وجدهم على عبادتهم للعجل ولكن غير متفرِّقين سهل عليه إرجاعهم إلى صواب الأمر، ولو وجدهم متفرِّقين لما اتَّحدوا بعد ذلك، ولخسر جماعة منهم أو لصعب عليه توحيد كلمتهم من جديد مما سيأخذ منه وقتاً وهدراً للطاقة. فكلمة التوحيد إنَّما تقوم على الأرض وتكون لها شوكة بتوحيد كلمة أتباعها، قوله تعالى: وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (الأنفال: 46). ولذلك اعتذر هارون عليه السلام لأخيه موسى عليه السلام حين ظنَّ أنَّه أهمل بنو اسرائيل ولم يمنعهم، قوله تعالى: قَالَ يَاهَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي...، اعتذر بقوله: إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي (طه: 94-90)، أي خشيتُ أن أتبعك فأخبرك بهذا فتقول لي لمَ تركتهم وحدهم وفرَّقت بينهم، وما راعيتَ ما أمرتك به حيث استخلفتك فيهم (ابن كثير 1993: 159).

فهارون عليه السلام إنَّما تعامل مع بني اسرائيل بما تعامل به لمقتضى الحال لا رضاً بما فعلوا، فحاشاه فهو النَّبي الحامي لكلمة التوحيد، فالمصلحة في حينها لم تكن في غير ما فعل وإن كان تمس مؤقَّتاً كلمة التوحيد بما قاموا به من شرك في عبادتهم للعجل، لأنَّه لو أصرَّ على موقفه في منعهم قبل عودة موسى عليه السلام لأدَّى ذلك إلى مفسدة أعظم وهو تفريق كلمة بني اسرائيل والذي كانوا في غنى عنه في ذلك التوقيت، فكلمة التوحيد إنمَّا تُقام بتوحيد الكلمة، فتوحيد الكلمة وسيلة لتحقيق الغاية التي من أجلها أرسل الله رسله وأنبيائه عليهم السَّلام والتي هي إقامة دينه على الأرض وتحقيق كلمة التوحيد، قوله تعالى: شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ... (الشورى: 12).

ثانياً: الظرف الأمني

ظل المسلمون بمكة مضطهَّدين ثلاث عشر سنة من قِبَل قريش التي جنّ جنونها حين رأت بعض عبيدها يسلمون أمثال بلال، عمار ووالديه ياسر وسميَّة رضي الله تعالى عنهم المستضعفين الذين لم يكن لديهم من يحميهم من بطش قريش وأذاهم. فقد كانت قريش تجتهد في إلحاق الأذى والضرر بهم ليردوهم عن دينهم، حتى الشرفاء منهم كأبي بكر الصديق رضي الله عنه لم يسلم من أذاهم حتى همَّ بالهجرة إلى أرض الحبشة ثم رجع لجوار ابن الدَّغِنَة، ولم يكن قد أُذن لهم بالقتال، وكانت حركاتهم مقيَّدة إذ كانت قريش وضعت عليهم حصاراً شديداً، وتراقب كل داخل بمكة وساكنيها لئلا يلتقوا النَّبي صلى الله عليه وسلم فلم يكن وضعهم الأمني يسمح لهم الاجتماع برسول الله صلى الله عليه وسلم كما كانوا يرغبون.

مِن صُور المأساة التي توضِّح لنا بعض الجوانب لهذه المرحلة لبداية الإسلام مما كان يعانيه المسلمون في مكة، استشهاد سميَّة رضي الله عنها. مرَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم على آل ياسر – عمّار، أبوه ياسر وأمّه سميّة – وهم يعذَّبون بالأبطح في رمضاء مكة، فقال صلى الله

عليه وسلم: صبراً آل ياسر فإنَّ موعدكم الجنّة (ابن هشام د.ت: 139؛ ابن القيم 1994: 20). أمَّا سميَّة فطعنها أبو جهل بحربة فقتلها. فكانت أوّل شهيد في الإسلام. لم يكن صلى الله عليه وسلم حينها يملك لهم غير أن يبشِّرهم بالجنَّة، إذ لم يكن يملك جيشاً جرّاراً يأدِّب به قريشا على ما اقترفت يداها، فالمسلمون كانوا في حالة لا يُحسدون عليها، فلم يكن لهم غير الصَّبر وانتظار تغيير الوضع.

قارن هذه الصورة لآل ياسر بما فعله صلى الله عليه وسلم باليهود بنو قينقاع من إجلائهم من المدينة المنورة حين نقضوا العهد، وذلك أنَّ امرأة من المسلمين قدمت بجَلَب لها، فباعته في سوق بني قينقاع، وجلست إلى صائغ، فجعلوا يريدونها على كشف وجهها، فأبت، فغمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها – وهي غافلة – فلمَّا قامت انكشفت سوأتها فضحكوا بها فصاحت، فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله – وكان يهودياً – فشدَّ اليهود على المسلم فقتلوه، فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود، فوقع الشر بينهم وبين بني قينقاع. فاستخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم على المدينة أبا لبابة بن عبد المنذر رضي الله عنه، وأعطى لواء المسلمين حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه، وسار بجنود الله إلى بني قينقاع، فلما رأوه تحصَّنوا في حصونهم، فحاصرهم صلى الله عليه وسلم أشد الحصار، ودام الحصار خمس عشرة ليلة، وقذف الله في قلوبهم الرُّعب، فنزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم في رقابهم وأموالهم ونسائهم وذريَّتهم، فأمر بهم فكتفوا (ابن القيم 1994: 91-71).

كان هذا التصرُّف الصّارم الحازم ضروري من رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا التوقيت الذي كان في شوال من العام الثاني للهجرة بُعَيدة غزوة بدر الذي فيها نصر الله رسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون نصراً مؤزراً وصارت لهم هيبة وعزَّة في قلوب الناس في الجزيرة العربية، وقد كانت ظهرت تحرُّشات واستفزازات يهود بنو قينقاع الذين كانوا يسكنون داخل المدينة. فدعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكَّرهم بالعهد الذي بينهم ووعظهم لينتهوا ويعودوا إلى رشدهم وحذَّرهم نتيجة بغيهم وعدوانهم، ولكنَّهم ازدادوا طغياناً والشر. عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشاً يوم بدر وقدِم المدينة جمع اليهود في سوق بني قينقاع فقال: يا معشر اليهود أسلموا قبل أن يصيبكم مثل ما أصاب قريشاً، قالوا يا محمَّد لا يغرنَّك من نفسك أنَّك قتلت نفراً من قريش كانوا أغماراً لا يعرفون القتال، إنَّك لو قاتلتنا لعرفت أنا نحن الناس وأنَّك لم تلق مثلنا (أبو داود د.ت: 616). فأنزل الله قوله: قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ. قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ (آل عمران: 12-13).

فتصرَّف رسول الله صلى الله عليه وسلم مع يهود بنو قينقاع في هذا الأمر كان حكيماً، إذ أثبت به في نفوس القبائل حول المدينة وبقية قبائل اليهود في المدينة والجزيرة العربية قاطبة القوة الجديدة المتصاعدة للمسلمين، ولو لم يلقِّنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الدرس القاسي الذي ناسب بغيهم بالمدينة لاستمرت تحرُّشاتهم ضد المسلمين ولسوَّلت لبعض القبائل حول المدينة والتي كانت تتربَّص بالمسلمين الدوائر أن تعتدي على المدينة مما كان سيأثِّر سلباً على الأمن الداخلي ويُعرقِل مسيرة الدعوة في موطنها الجديد.

ولأجل الأمن الداخلي للمدينة المنورة وسلامة المسلمين فيها، أمر الله سبحانه وتعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أن يُجلي يهود بنو قريظة مِن المدينة حين نقضوا العهد الذي كان بينهم وبين المسلمين حين تحالفوا مع الأحزاب من قريش يقودهم أبو سفيان في أربعة آلاف، وغطفان يقودهم عُيينة بن حصين، وقبائل أخرى عربية ضد رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين في شوال من العام الخامس الهجري، في خطَّة خططتها يهود بنو النضير الذين نفاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى خيبر نتيجة غدرهم.

ولولا أن الله كفى المؤمنين القتال لاستأصلوا شأفة المسلمين وأبادوهم، فكان الله بهم بالمرصاد، أفشل الله خطّتهم فقال الله تعالى: وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا (الأحزاب: 24-27).

القرآن الكريم صوَّر الله لنا هذا الحدث وكأنَّنا ننظر إليه عياناً بقوله تعالى: يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا. إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا. هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا (الأحزاب: 9 –11). ولما أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف عن الخندق راجعاً إلى المدينة والمسلمون، ووضعوا السِّلاح، فلمّا كانت الظهر أتى جبريل رسول الله

صلى الله عليه وسلم معتجراً بعمامة من إستبرق على بغلة عليها رحالة، عليها قطيفة من ديباج فقال: أَوَقد وضعتَ السِّلاح يا رسول الله؟ قال: نعم. فقال جبريل عليه السلام: ما وضعت الملائكة السَّلاح بعد، وما رجعت الآن إلا من طلب القوم، إن الله يأمرك يا محمَّد بالمسير إلى بني قريظة، فإنيِّ عامد إليهم فمزلزل بهم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "لا يُصلِّيَنَّ أحدكم العصر إلا في بني قريظة" (البخاري 2002: 309). وعن عائشة قالت: لما رجع النَّبي صلى الله عليه وسلم من الخندق ووضع السلاح واغتسل، أتاه جبريل عليه السلام فقال: قد وضعت السلاح، والله ما وضعناه، فاخرج إليهم. قال: فإلى أين ؟ قال: هاهنا وأشار إلى بني قريظة. فخرج النبي صلى الله عليه وسلم إليه (البخاري 2002: 308). وعن عائشة أيضا أنَّ رسول الله لما فرغ من الأحزاب دخل المغتسل يغتسل، وجاء جبريل فرأيته من خلل الباب قد عصب رأسه الغبار، فقال: يا محمَّد، أوضعتم أسلحتكم؟ فقال: ما وضعنا أسلحتنا بعد، انهد إلى بني قريظة (ابن حنبل 2004: 41/458).

نزلوا بنو قريظة على حكم سعد بن معاذ سيِّد الأوس رضي الله عنه بعد أن حاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خمساً وعشرين ليلاً كونه رضي الله عنه حلفائهم في الجاهلية، وظنّوا أن ذلك مانعتهم مِن الله فأتاهم سعد رضي الله عنه مِن حيث لم يحتسبوا فقال رضي الله عنه: إنِّي أحكم فيهم أن تُقتَّل المقاتلة وأن تُسْبى النِّساء والذُّريَّة وأن تقسَّم أموالهم (البخاري 2002: 309). فقال صلى الله عليه وسلم: قضيت بحكم الله (البخاري 2002: 309). وفي رواية لقد حكمتَ بحكم الله من فوق سبعة أرقعة. فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأخاديد فَخُدَّت في الأرض، وجيء بهم مكتَّفين، فَضُرِب أعناقهم، وكانوا ما بين السبعمائة إلى الثمانمائة، وسبى من لم ينبت منهم مع النِّساء وأموالهم (ابن كثير 1993: 460) ولم يُقتل مِن النِّساء أحداً سوى إمرأة واحدة، وقُسم أموالهم على المسلمين (ابن كثير 1985: 175).

وقد قال بعض الناس أنَّ عقاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لبني قريظة في نقضهم العهد غليظ وقاس وكان يمكن تأديبهم بأقل من هذا العقاب، يزعم هذا العاطفي أنَّ حكم سعد بن معاذ رضي الله عنه على بني قريظة بالقتل والسَّبي وتقسيم أموالهم قاس، ونسي أنَّه لو لا أنَّ الله تعالى دافع عن المؤمنين بجنود لم نرها، لكان مسيرهم من قتل وتشريد وغيره من الأذية أسوأ بكثير مما لقي بنو قريظة، ولو نجحت خطَّتهم لما راقبوا في المسلمين إلاً ولا ذِمَّة، لأبادوهم إذ لأجل هذا حزَّبوا الأحزاب وساروا إلى المدينة، فالجزاء من جنس العمل، فهذا الحكم وإن كان قد تلفَّظ به سعداً رضي الله عنه إلا أنَّه كان هو حكم الله من فوق سبع السَّماوات بدليل قوله صلى الله عليه وسلم: قضيت بحكم الله.

كان أمر الشارع الحكيم في تطهير المدينة من هولاء الخونة اليهود ضروري لأمن المدينة وسلامة المسلمين ومسيرة الدعوة الإسلامية. تلك حكمة الشارع في كافة قرارته في توجيه المسلمين فيما ينفعهم وحسب ظرفهم من القوة والضعف. فحين يكونون هم الطَّرف الأقوى في بلد يحكمونه – المدينة المنورة - يُخرجون كل من يُهدِّد أمنهم الداخلي وسلامتهم، وحين يكون العدو هو الطرف القوي في بلد – مكة - لا يحكمونه يَخرجون هم أو بعضهم فراراً بدينهم وسلامتهم، فلذلك حين اشتد أذى قريش على المسلمين بمكة في بدايات الدعوة خاصة المستضعفين منهم، ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يصيب أصحابه رضي الله عنهم من البلاء وما هو فيه من العافية بمكانه من الله عزَّ وجل ومن عمِّه أبي طالب، وأنه لا يقدر على أن يمنعهم ممّا هم فيه من البلاء، قال لهم: لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإنَّ بها ملكاً لا يظلم عنده أحد، وهي أرض صدق، حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه، فخرج عند ذلك المسلمون من أصحابه صلى الله عليه وسلم رضي الله عنهم إلى أرض الحبشة فراراً بدينهم (ابن القيم 1994: 1/24).

هنا خرج المسلمون من مكة فراراً بدينهم وسلامة أبدانهم، إذ لم تكن لهم شوكة بعد، ولكن حين صارت لهم قوَّة وشوكة، أخرجوا هم من يهدِّد أمنهم وسلامتهم ويعرقل مسيرة دعوتهم. هذا هو عين الحكمة في تعامل الشارع في اتخاذها القرارات بما يقتضيه الظرف السِّياسي الرّاهن لضمان مصالحها الأمنية وإظهار شوكتها. وحتى حين يصيب الجيش الإسلامي بعض الخسائر والخلل، تأتي الحنكة في أمر الحروب فيما يُسمّونه بالحرب النَّفسي – السَّيكلوجي- لتقلب الهزيمة نصراً، وهذا ما فعله صلى الله عليه وسلم من عملية المطاردة لجيش قريش في غزوة حمراء الأسد التي وقعت صباح الغد من غزوة أحد. نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس وندبهم إلى الخروج للقاء جيش قريش، فقال: لا يخرج معنا إلا من شهد القتال (المباركفوري 2005: 253)، واستجاب الصَّحابة رضي الله عنهم لندائه صلى الله عليه وسلم على ما بهم من الجروح، وقد امتدحهم القرآن في ذلك في قوله تعالى: الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ (آل عمران: 172).

وقد أثمرت هذه الإستراتيجية القتالية النبوية، إذ أنَّ أبا سفيان كان قد فكَّر في العودة إلى المدينة للقضاء على المسلمين، ولجأ إلى حرب الأعصاب الدعائية: فأبلغوا محمَّداً أنّا قد أجمعنا الكرَّة، لنستأصله ونستأصل أصحابه (المباركفوري 2005: 254). فأنزل الله في ذلك قوله: الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ. إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (آل عمران: 175-172).

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبله لجأ إلى حرب الأعصاب والدعاية والتي فعلت فعلتها في جيش المشركين فانهارت عزائمهم وقواتهم النفسية، "محمَّد خرج في أصحابه، يطلبكم في جمع لم أر مثله قط، يتحرَّقون عليكم تحرقاً، قد اجتمع معه من كان تخلَّف عنه في يومكم، وندموا على ما ضيَّعوا، فهم من الخنق عليكم شيء لم أر مثله قط" (المباركفوري 2005: 254). فهذا التعامل الإستراتيجي القتالي فيما يُسمى بالحرب الإعلامي أو النَّفسي، أبقت للدولة الإسلامية الناشئة هيبتها التي اكتسبتها في غزوة بدر بعد ما أصابهم ما أصابهم في غزوة أحد.

المبحث الثاني: المنهج النبوي في التعامل مع مقتضى الحال للظرف السِّياسي

أولاً: تعامل النبي صلى الله عليه وسلم سياسياً طلباً للسِلم في العلاقات الدولية

بعد ست أعوام من الهجرة في ذي القعدة، أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بزيارة بيته المحرَّم معتمراً، ولكنّه صلى الله عليه وسلم لمعرفته كبرياء قريش وغطرستها وأنَّهم سيحاولون صدّه عن المسجد الحرام إن هم علموا بنيته لزيارة مكة، وبما أنَّه صلى الله عليه وسلم كان راغباً في السِّلم راغباً عن الحرب، أراد أن يثبت ذلك لقريش تفادياً للصدّام الدامي معها ، قام صلى الله عليه وسلم بتخطيط استراتيجي بأن أخذ طريقاً وعراً بين شعاب، وسلك بالصّحابة رضي الله عنهم ذات اليمين بين ظهري الحَمض في طريق يخرجه على ثنية المرُار مهبط الحديبية من أسفل مكة، وترك الطريق الرئيس الذي يُفضي إلى الحرم ماراً بالتنعيم، تركه إلى اليسار، فلمّا رأى خالد بن الوليد غبار الجيش الإسلامي قد خالف عن طريقه انطلق يركض نذيراً لقريش (ابن كثير 1993: 4/199).

أرسل صلى الله عليه وسلم إشارات دبلوماسية سلمية إلى قريش إظهاراً لنيته أنَّه لا يريد حرباً إنَّما جاء معتمراً، فإنَّه صلى الله عليه وسلم لم يخرج معه بسلاح إلا سلاح مسافر والسّيوف في غمضها، وقلَّد الهدي وأشْعَرَه (ابن كثير 1993: 4/199). وقال قولته: والله لا تدعوني قريش اليوم إلى خطة يسألوني فيها صلة الرَّحم، إلا أعطيتهم إياها، والذي نفسي بيده، لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمات الله، إلا أعطيتهم إياها (ابن كثير 1993: 4/199). كل هذا التخطيط من رسول الله صلى الله عليه وسلم من إشارات الدبلوماسية إنَّما كانت إظهار حسن نية لأجل اجتناب الحرب ولم يكن عن ضعف أو خوف من قريش بل إيثاراً للسِّلم على الحرب ولكن عن قوَّة وإعزاز، بدليل قوله صلى الله عليه وسلم فماذا تظن قريش؟ فوالله لا أزال أجاهدهم على الذي بعثني الله به حتى يظهرني الله أو تنفرد هذه السالفة. وحين أشيع قتل عثمان بن عفان رضي الله عنه وذلك حين احتبسته قريشاً وطال الإحتباس، قال صلى الله عليه وسلم لما بلغته الإشاعة: "لا نبرح حتى نناجز القوم،" ثم دعا الصَّحابة رضي الله عنهم إلى البيعة فبايعوه على ألا يفرّوا وبايعه بعضهم على الموت، ولقد امتدحهم الله في ذلك فقال عزَّ من قائل: لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا (الفتح: 18).

فهذا كله يدل على أنَّ دولة المدينة النبوِّية كانت تؤثر السِّلم على الحرب، والتفاوض على الغطرسة ولكن، عن قوَّة لا عن ضعف. وحقّق رسول الله صلى الله عليه وسلم أمنيته في تحقيق السِّلم واجتناب الحرب عبر التفاوض مع قريش والذي عُرِف بصلح الحُديبية، وإن كانت بنود هذا الصُّلح ظاهرها ظلم للمسلمين ولكن الأمور بخواتيمها فقد كانت نصراً للإسلام والمسلمين، وكذا سمّاه الله تعالى في قوله: إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا (1) لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا (2) وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا (الفتح: 3-1).

قارن أقوال رسول الله صلى الله عليه وسلم في العام السّادس للهجرة وهو في طريقه إلى مكة لأداء العمرة، أي في العام التاسع عشرة للبعثة، "والله لا تدعوني قريش اليوم إلى خطّة يسألوني فيها صلة الرَّحم، إلا أعطيتهم إياها،" "والذي نفسي بيده، لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمات الله، إلا أعطيتهم إياها،" "فماذا تظن قريش؟ فوالله لا أزال أجاهدهم على الذي بعثني الله به حتى يظهرني الله أو تنفرد

هذه السالفة.'' حين صارت له دولة بالمدينة المنورة، وقوَّة متصاعدة تَحسب لها الجزيرة العربية كل حساب، فقريش بغطرستها لم تكن تعترف بالمسلمين أي اعترف ولم تكن تعطيهم أي اعتبار، ''أيُّها الملك: إنَّه قد ضَوَى إلى بلدك غلمان سفهاء، فارقوا دين قومهم، ولم يدخلوا في دينك، وجاءوا بدين ابتدعوه، لا نعرفه نحن و لا أنت ...'' (ابن هشام د.ت: 1/334).

قريش التي كانت قبل أربع عشرة سنة تنظر إلى المسلمين كـ ''غلمان سفهاء'' وإلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كساحر وغيرها من الأسماء التي كانوا يسمّونه صلى الله عليه وسلم بها، ها هي تجلس لتفاوِض رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوته عن كفء لا بالتهديد والإغراءات مادية دنيوية كما كانوا يتعاملون معه مِن ذي قبل. قارن هذا الوضع الذي فاوض فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوتّه قريشاً في الصُّلح الحديبية مع العام السّادس للبعثة ووضع الإسلام والمسلمين في أيامه الأولى بمكة حين أوفدت قريشاً عتبة بن ربيعة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس ليفاوضه بل ليغريه ويعرض عليه أموراً علَّه يقبلها أو بعضها ليكف عنهم ما جاء به من دين جديد والتي تسيئ إلى آلهتهم. فكانوا يرون أنفسهم الطرف الأقوى ولذلك كانوا يعرضون هذه الأشياء على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

عن محمَّد بن كعب القرظي قال: حدِّثتُ أنَّ عتبة بن ربيعة -وكان سيِّداً- قال يوماً وهو جالس في نادي قريش، ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في المسجد وحده: يا معشر قريش ألا أقوم إلى محمَّد فأكلِّمه وأعرض عليه أموراً لعله يقبل بعضها، فنعطيه أيُّها شاء ويكف عنَّا؟ وذلك حين أسلم حمزة، ورأوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يزيدون ويكثرون، فقالوا: بلى يا أبا الوليد، فقم إليه فكلِّمه. فقام إليه عتبة حتى جلس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا ابن أخي، إنَّك منَّا حيث قد علمت من البسطة في العشيرة والمكان في النَّسب، وإنَّك قد أتيت قومك بأمر عظيم، فرَّقت به جماعتهم، وسفَّهت به أحلامهم، وعبت به آلهتهم ودينهم، وكفرت به من مضى من آبائهم، فاسمع منِّي أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلَّك تقبل منَّا بعضها. قال: فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : قل يا أبا الوليد، أسمع. قال: يا ابن أخي، إن كنت إنمَّا تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون من أكثرنا أموالاً. وإن كنت تريد به شرفاً سوَّدناك علينا، حتى لا نقطع أمراً دونك. وإن كنت تريد به ملكاً ملكناك علينا. وإن كان هذا الذي يأتيك رئيا تراه لا تستطيع ردّه عن نفسك، طلبنا لك الطب، وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه، فإنَّه ربما غلب التابع على الرَّجل حتى يداوى منه -أو كما قال له-حتى إذا فرغ عتبة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يستمع منه قال: أفرغتَ يا أبا الوليد؟ قال: نعم. قال: فاستمع منيِّ، قال: أفعل. قال: بسم الله الرَّحمن الرَّحيم. حم تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ (فصِّلت: 4-1).

ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها يقرؤها عليه. فلمّا سمع عتبة أنصت لها وألقى يديه خلف ظهره معتمداً عليهما يسمع منه، ثم انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السجدة منها، فسجد، ثم قال: قد سمعتَ يا أبا الوليد ما سمعتَ، فأنت وذاك فقام عتبة إلى أصحابه، فقال بعضهم لبعض: أقسم - يحلف بالله - لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به. فلما جلس إليهم قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد؟ قال: ورائي أنيِّ قد سمعت قولاً والله ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالسِّحر ولا بالشعر ولا بالكهانة. يا معشر قريش، أطيعوني واجعلوها لي، خلوا بين الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت نبأ، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم، وعزه عزكم، وكنتم أسعد الناس به. قالوا: سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه! قال: هذا رأيي فيه، فاصنعوا ما بدا لكم (ابن كثير 1993: 4/93).

فرسول الله صلى الله عليه وسلم في مكة حين كان طرف المشركين هو الأقوى لم تكن هذه الإغراءات الدنيوية الفانية لتغريه عن أداء رسالة التوحيد، فهو سيِّد الزهّاد، وفي الحديبية حين كان يُفاوض المشركين عن قوَّة وعزَّة لم يكن يرغب في الحرب إنَّما كان يهمُّه أداء رسالة التوحيد، فكان مستعداً في سبيل ذلك وتحقيق نشر كلمة الحق لقبول أي شيئ من قريش ما دام لا تمس كلمة التوحيد.

فلذلك قال: والله لا تدعوني قريش اليوم إلى خطَّة يسألوني فيها صلة الرَّحم، إلا أعطيتهم إياها، والذي نفسي بيده، لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمات الله، إلا أعطيتهم إياها، وهذا ما قاله تعالى: إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (الفتح: 26). كلمة التقوى أي كلمة التوحيد.

ففي مكة والحديبية أخرج لهم صلى الله عليه وسلم كلمة التوحيد ليقول لهم ما يهمُّني غير نشر هذه الكلمة، أمّا في

مكة فلم يكن عن قوّة أمّا في الحديبية فكان عن قوة. فماذا تظن قريش؟ ''فوالله لا أزال أجاهدهم على الذي بعثني الله به حتى يظهرني الله أو تنفرد هذه السالفة،'' ''لا نبرح حتى نناجز القوم.''

ثانياً: تعامل النبي صلى الله عليه وسلم سياسياً طلباً للتحالفات السِّياسية الخارجية

هناك مقولة شهيرة عن السِّياسة والسِّياسيين تقول: ''لا صداقة أو صديق دائم أو عداوة وعدو دائم'' بل هي مصالح تسير وتتكيَّف معها نوعية العلاقة بين الدول. هذه المقولة لعلها تصدق بعض شيئ على العلاقات بين دول عصرنا هذا التي تنشأ علاقاتها على المصالح المادية الدنيوية البحتة، أمّا دولة المدينة النَّبوية، فلم تكن تنشئ علاقاتها مع الدول – القبائل- لمجرَّد المصالح المادية، بل كانت تقصد من وراء إنشائها العلاقات مع القبائل إلى جانب المصلحة الدنيوية من عدم الهجوم عليها، مصلحة أخرى دينية أخروية مِن إيصال رسالة التوحيد إلى تلك الدول – القبائل- والتي كانت هي الغاية القصوى، فالمصالح الدنيوية إنَّما كانت مجرد الوسيلة كالتعامل الذي كان يتعامل به صلى الله عليه وسلم مع رؤساء بعض الدول – القبائل – أمثال عيينة بن حصن و الأقرع بن حابس. فقد كان صلى الله عليه وسلم يتألَّفهما ببعض العطاء اتقاء لشرِّهما وعيينة بن حصن هذا هو الذي سمّاه صلى الله عليه وسلم الأحمق المطاع، لأنه كان من الجرارين تتبعه عشرة آلاف مقاتل، وقال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم إنيِّ أداريه، لأنيِّ أخشى أن يفسد علي خلقا كثيراً (الذهبي 1985: 167).

فالظاهر أنَّ تعامله صلى الله عليه وسلم معه وأمثاله كان طلباً للتحالف السِّياسي مع دولته – قبيلته – اتقاء لشرِّه وعدم دخول في حروب يمكن تجنُّبها وفرة للطاقة ومال جيش الدولة، وفي نفس الوقت جذبه إلى الإسلام. وكذا كان الأمر فقد أسلم، وجاء هو والأقرع بن حابس إلى أبي بكر رضي الله عنه فقال: يا خليفة رسول الله إنَّ عندنا أرضاً سَبِخَة، ليس فيها كلأ ولا منفعة، فإن رأيتَ أن تُقطعناها! فأجابهما، وكتبَ لهما، وأشهدَ القوم - وعمر ليس فيهم - فانطلقا إلى عُمر رضي الله عنه ليُشهداه فيه، فتناول الكتاب وتفل فيه ومحاه فتذمَّرَا له، وقالا له مقالة سيئة. فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتألَّفكما والاسلام يومئذ قليل، إن الله قد أعزَّ الاسلام، اذهبا فاجهدا عليَّ جُهدكما، لا رعى الله عليكما إن رعيتما. فأقبلا إلى أبي بكر - وهما يتذمران - فقالا: ما ندري والله؛ أنت الخليفة أو عمر؟ فقال: لا ؛ بل هو لو كان شاء. فجاء عمررضي الله عنه - وهو مغضب - حتى وقف على أبي بكررضي الله عنه ، فقال: أخبرني عن هذا الذي أقطعتهما أرض هي لك خاصة؟ أو للمسلمين عامة، قال: بل للمسلمين عامة. قال: فما حملك على أن تخصَّ بها هذين؟ قال: استشرتُ الذين حولي، فأشاروا علي بذلك، وقد قلتُ لك؛ إنك أقوى على هذا مني فغلبتني (ابن حجر 1995: 4/640).

فتعامل رسول الله صلى الله عليه وسلم مع عيينة بن حصن وأمثاله في العطاء إنَّما كان أمر من الله تعالى في قوله: إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (التوبة: 60). والمؤلفة قلوبهم هم الجماعة التي يُراد تأليف قلوبهم بالاستمالة إلى الإسلام أو التثبُّت فيه، أو بكفّ شرِّهم عن المسلمين أو رجاء نفعهم في الدفاع عنهم، أو نصرهم على عدوٍّ لهم (رضا 2001: 10/436). وهم زعماء ضعفاء الإيمان من المسلمين مطاعون في أقوامهم يُرجَى بإعطائهم تثبيتهم وقوة إيمانهم ومناصحتهم في الجهاد.

فعلى أساس هذه السِّياسة الحكيمة كان صلى الله عليه وسلم يتعامل مع هذه الدول – القبائل- فلم تكن على أساس المصلحة الدنيوية البحتة، بل لتحقيق غاية هي أسمى الغايات، إيصال كلمة التوحيد إلى كافة أرجاء الجزيرة العربية لتحقيق قوله تعالى: هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (التوبة: 33).

الخاتمة

حاولت الدراسة دراسة فترتي النُّبوة – مكة والمدينة- والفرق بينهما وتحليل بعض المواقف والقرارات الدينية، السِّياسية والأمنية التي اتَّخذتها الشّارع في مرحلتي المكيَّة والمدنيّة لمعرفة الحكمة من وراء اتخاذها صلى الله عليه وسلم لتلك القرارات لتكون دليلاً ونبراساً للقادة في شتى المجالات أثناء ممارستهم مهامة قيادة دولهم. وقد توصلت الدراسة إلى أنَّ لكل مقام مقال، فما قد يُصلح في موقف أو في فترة من فترات قد لا يصلح في فترة أخرى. فعلى الإنسان أو القائد أو الرئيس دراسة الوضع والموقف وبعد استشارة زملائه ووزرائه وبطانته يتَّخذ القرار الصَّائب الذي يرى ويظن أنَّه يصب في مصلحة الدِّين والدولة والشَّعب على مرحلة الضروري أو الاحتياج أو التحسيني. ولا أدل على ذلك من فعل رئيس دولة المدينة النَّبوية رسول الله صلى الله عليه

وسلم، فقد تباينت بعض قراراته الدينية، السِّياسية والأمنية في مواقف متشابهة لإختلاف الظرف والوضع. وصلى الله على البشير النَّذير محمَّد بن عبد الله الصَّادق الأمين وعلى آله الطيِّبين وأصحابه الأخيار ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم يقوم الناس لربِّ العالمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المراجع

القرآن الكريم

ابن تيمية. د.ت. السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية. بيروت: دار الكتب العربية.

ابن القيم. 1993. إعلام الموقعين عن رب العالمين. ج3، ط1. القاهرة: دار الحديث.

_____. 1994. زاد المعاد في هدي خير العباد. ج3، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط بيروت: مؤسسة الرِّسالة.

ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني. 1995. الإصابة في تمييز الصَّحابة. ط.1، ج4. بيروت: دار الكتب العلمية.

_____. 2000. فتح الباري. ج1، ط3. الرياض: مكتبة دار السَّلام.

ابن كثير. 1985. الفصول في السيرة الرَّسول. ط2. بيروت، دمشق: دار ابن كثير.

_____. 1993. تفسير القرآن العظيم. ج3. المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم.

ابن هشام. د.ت. سيرة النَّبي. ج1، تحقيق: محمَّد محي الدين عبد الحميد. القاهرة: دار الهداية.

أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي. د.ت. سنن أبي داود. بيروت: دار الفكر.

أحمد شلبي. 1999. التربية والتعليم في الفكر الإسلامي. ط11. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.

البخاري، محمَّد بن إسماعيل. 2002. الجامع المسند الصَّحيح المختصر من أمور رسول الله وسننه وأيَّامه. القاهرة: مكتبة الصَّفا.

حنبل، أحمد. 2004. مسند. بيروت: بيت الأفكار الدولية.

الذهبي، شمس الدين محمَّد بن أحمد بن عثمان. 1985. سير أعلام النبلاء. ط3، ج2. بيروت: مؤسَّسة الرِّسالة.

رضا، محمَّد رشيد.2001. تفسير القرآن الحكيم المعروف بتفسير المنار. ط1، ج10. تعليق وتصحيح سمير مصطفى دباب. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

صبحي الصالح. 1977. مباحث في علوم القرآن. ط10. بيروت: دار العلم للملايين.

عبد الكريم توري. 2017. صيد الخواطر من بحر الجواهر في تفسير القرآن العظيم. نيلاي: USIM.

عبد الكريم زيدان. 1999. المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية. ط16. بيروت: مؤسسة الرسالة.

المباركفوري. 2005. الرَّحيق المختوم. ط17. المنصورة: دار الوفاء.

محمد سعد بن أحمد. 2011. مقاصد الشريعة وعلاقتها بالأدلة الشرعية. ط3. الدمام: دار ابن الجوزي.

مناع القطان. د.ت. مباحث في علوم القرآن. ط7. القاهرة: مكتبة وهبة.

_____. 1996. تاريخ التشريع الإسلامي. ط2. الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع.

يحي إسماعيل. 1986. منهج السنة في العلاقة بين الحاكم والمحكوم. المنصورة: دار الوفاء.

يوسف القرضاوي. 1984. غير المسلمين في المجتمع الإسلامي. القاهرة: مكتبة وهبة.

_____. 1993. ملامح المجتمع الإسلامي الذي ننشده. القاهرة: مكتبة وهبة.

ADDENDUM

Regarding the article in volume 40(1) 2018: 71 - 80 entitled "The Prophetic Method in Dealing with the Situations: An Analytical Study on Religious, Security and Political Issues from Sera Literature" by Abdoul Karim Toure and Mohd Anuar Mamat. The Romanize transliteration of the references has been added at the end of the article as follows:

REFERENCES

Al-Qur'an al-Karim.

Abdoul Karim Toure. 2017. *Sayd al-Khawatir min Bahr al-Jawahir fi Tafsir al-Qur'an al-ᶜAzim*. Nilai: Universiti Sains Islam Malaysia.

ᶜAbd al-Karim Zaydan. 1999. *Al-Madkhal li Dirasah al-Shariᶜah al-Islamiyyah*. Cet. 16. Beirut: Mu'assasah al-Risalah.

Abu Dawud, Sulayman bin al-Ashᶜath al-Sajastani al-Azdi. n.d. *Sunan Abi Dawud*. Beirut: Dar al-Fikr.

Ahmad Shalabi. 1999. *Al-Tarbiyah wa al-Taᶜlim fi al-Fikr al-Islami*. Cet. 11. Al-Qahirah: Maktabah al-Nahdah al-Misriyyah.

Al-Bukhari, Muhammad bin Ismail. 2002. *Al-Jamiᶜ al-Musnad al-Sahih al-Mukhtasar min Umur Rasul Allah wa Sunanih wa Ayyamih*. Al-Qahirah: Maktabah al-Safa.

Al-Dhahabi, Shams al-Din Muhammad bin Ahmad bin ᶜUthman. 1985. *Sayr Aᶜlam al-Nubala'*. Cet. 3. Jil. 2. Beirut: Mu'assasah al-Risalah.

Hanbal, Ahmad. 2004. *Musnad*. Beirut: Bayt al-Afkar al-Duwaliyyah.

Ibn Taymiyyah. n.d. *Al-Siyasah al-Sharᶜiyyah fi Islah al-Raᶜi wa al-Raᶜiyyah*. Beirut: Dar al-Kutub al-ᶜArabiyyah.

Ibn al-Qayyim. 1993. *Iᶜlam al-Muwaqqiᶜin ᶜan Rabb al-ᶜAlamin*. Jil. 3. Cet. 1. Al-Qahirah: Dar al-Hadith.

_____. 1994. *Zad al-Maᶜad fi Hady Khayr al-ᶜIbad*. Jil. 3. Ed. Shuᶜayb al-Arna'ut & ᶜAbd al-Qadir al-Arna'ut. Beirut: Muassasah alp-Risalah.

Ibn Hajar, Ahmad bin ᶜAli al-ᶜAsqalani. 1995. *Al-Isabah fi Tamyiz al-Sahabah*. Cet. 1. Jil. 4. Beirut: Dar al-Kutub al-ᶜIlmiyyah.

_____. 2000. *Fath al-Bari*. Jil. 1. Cet . 3. Riyadh: Maktabah Dar al-Salam.

Ibn Kathir. 1985. *Al-Fusul fi Sirah al-Rasul*. Cet. 2. Beirut, Damsyik: Dar Ibn Kathir.

_____. 1993. *Tafsir al-Qur'an al-ᶜAzim*. Jil. 3. Al-Madinah al-Munawwarah: Maktabah al-ᶜUlum wa al-Hikam.

Ibn Hisham. n.d. *Sirah al-Nabi*. Jil. 1. Ed. Muhammad Muhyi al-Din ᶜAbd al-Hamid. Al-Qahirah: Dar al-Hidayah.

Mannaᶜ al-Qattan. n.d. *Mabahith fi ᶜUlum al-Qur'an*. Cet. 7. Al-Qahirah: Maktabah Wahbah.

Al-Mubarakfuri. 2005. *Al-Rahiq al-Makhtum*. Cet. 17. Al-Mansurah: Dar al-Wafa'.

Muhammad Sa'd bin Ahmad. 2011. *Maqasid al-Shariᶜah wa ᶜAlaqatuha bi al-Adillah al-Sharᶜiyyah*. Cet. 3. Al-Dammam: Dar Ibn al-Jawzi.

Rida, Muhammad Rashid. 2001. *Tafsir al-Qur'an al-Hakim al-Maᶜruf bi Tafsir al-Manar*. Cet. 1. Jil. 10. Ed. Samir Mustafa Dabab. Beirut: Dar Ihya' al-Turath al-ᶜArabi.

Subhi al-Salih. 1977. *Mabahith fi ᶜUlum al-Qur'an*. Cet. 10. Beirut: Dar al-ᶜIlm li al-Malayin.

_____. 1996. *Tarikh al-Tashric al-Islami*. Cet. 2. Riyadh: Maktabah al-Maᶜarif li al-Nashr wa al-Tawziᶜ.

Yahya Ismaᶜil. 1986. *Manhaj al-Sunnah fi al-ᶜAlaqah bayn al-Hakim wa al-Mahkum*. Al-Mansurah: Dar al-Wafa'.

Yusuf al-Qaradawi. 1984. *Ghayr al-Muslimin fi al-Mujtamaᶜ al-Islami*. Al-Qahirah: Maktabah Wahbah.

_____. 1993. *Malamih al-Mujtamaᶜ al-Islami Alladhi Nunshiduh*. Al-Qahirah: Maktabah Wahbah.

Abdoul Karim Toure, PhD.
Pensyarah Kanan, Fakulti Pengajian Quran dan Sunnah,
Universiti Sains Islam Malaysia,
Bandar Baru Nilai,
718000 Nilai, Negeri Sembilan
Malaysia.
E-Mail: karim.toure@usim.edu.my

Mohd Anuar Bin Mamat, PhD.
Pensyarah Kanan, Fakulti Pengajian Quran dan Sunnah,
Universiti Sains Islam Malaysia,
Bandar Baru Nilai,
718000 Nilai, Negeri Sembilan
Malaysia.
Email : anuarmamat@usim.edu.my